2-اتجاهات الأسلوبية

الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن الخطاب الموزع على مبدأ هوية الأجناس، وموضوعها متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات. فهو موضوع ليس حكرا على مجال تعبيري دون آخر. ولهذا السبب تعددت مدارس الأسلوبية ومذاهبها.

لقد أطلق "فون درجابلنتس" سنة 1875، مصطلح الأسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، أو هي ما يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب، وما يؤثر في كلامه عما سواه، لأنه يجده أكثر تعبيرا عن أفكاره ورؤاه. ويرى أغلب مؤرخي الأسلوبية أن "شارل بالي" أصل عام 1902 "علم الأسلوب" وأسس قواعده النهائية؛ ويدرس "علم الأسلوب" العناصر التعبيرية للّغة المنظمة، من وجهة نظر محتواها التعبيري التأثيري.

لقد حظيت الأسلوبية بجهود معتبرة في الدراسات النقدية، وكان اهتمام النقاد بتصنيف الاتجاهات الأسلوبية كبيرا، فأقاموا في أغلب كتاباتهم عن الأسلوبية فصلا أو مباحث خاصة تحدد خصائص الاتجاهات الأسلوبية الغربية ومناهجها وطرائق تحليلها للنصوص والخطابات، والأدوات الإجرائية التي تستعملها في الوصف والتحليل، ومن بين هذه الاتجاهات نجد:

2-1- الأسلوبيّة التعبيريّة

ويقصد بها طاقة الكلام الذي يحمل عواطف المتكلّم وأحاسيسه حيث إنّ المتكلّم يحاول أن يشحن كلماته بكمّ كبير من الدلالات التي يظهر أثرها على المتلقّي، وهي ظاهرة تكثيف الدوالّ خدمة للمدلولات كما يسمّيها البعض، ويعدّ بالي رائدًا لهذا الاتّجاه(عدنان بن رذيل، ص146).

اعتبر" شارل بالي" أن الطابع الوجداني هو العلامة الفارقة في أية عملية تواصل بين مرسل ومتلق، ومن هنا يؤكد على علامات الترجي والأمر والنهي، التي تتحكم في المفردات والتراكيب، وتعكس مواقف حياتية واجتماعية وفكرية. وبالتالي نجده(بالي) يعتبر علم الأسلوب واحدا من علوم اللغة كعلم الأصوات وعلم التراكيب وعلم الصيغ، وكان يدعو إلى عدول علم اللغة عن المنهج التاريخي في الدراسة ليتناول عصرا محددا في تطور اللغة، معتمدا على اللغة التلقائية الطبيعية المتكلمة، وهذا ما يجب اعتماده في علم الأسلوب. ويرى أيضا أن واقع اللغة إنّما يظهر حين يقرن الباحث الملاحظة الداخلية" الاستبطانية" بالملاحظة الخارجية.

وقد حاول "صلاح فضل" الإلمام بأسلوبية" بالي" وتحديد خصوصياتها المنهجية في مبحث جنح فيه إلى الدقة والموضوعية في بسط آراء" بالي" التي تتلخص في(صلاح فضل، 1985، ص201):

1-البحث عن مكامن القوة التعبيرية في اللغة على جميع مستوياتها،

2-تحليل علاقاتها بالفكر وبالشخصية الجماعية بدراسة أهم العناصر التعبيرية ودورها في تشكيل النظام العام بعلاقاته الداخلية من ناحية ومقارنته بالنظم الخارجية من ناحية ثانية.

2-2- الأسلوبية النفسية

من رواد الأسلوبية النفسية نجد كل من "كارل فوسلر" و"ليوسبيتزر" وغيرهما. ويحددها هؤلاء بكونها الأسلوبية التي تُعنى بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي مع مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان والكلام والفن، وهذا الاتجاه الأسلوبي تجاوز- في أغلب الأحيان- البحث في أوجه التراكيب ووظيفتها في نظام اللغة إلى العلل والأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي، ويعود سبب ذلك إلى اعتقاد أصحاب هذا الاتجاه بذاتية الأسلوب وفرديته، ولذلك فهو يدرس العلاقة بين وسائل التعبير والفرد؛ دون إغفال علاقة هذه الوسائل التعبيرية بالجماعة التي تستعمل اللغة المنتج فيها الخطاب الأدبي المدروس (ينظر: صلاح فضل، ص:10- 11 ومحمد عياد، ص: 51- 66).

2-3- الأسلوبيّة البنويّة

من رواد الأسلوبية البنوية نجد "جاكبسون" و"ميشال ريفاتير". وهي امتداد لآراء سوسير في التفريق بين "اللغة" و"الكلام"، كما تعدّ امتدادًا لمذهب بالي في الأسلوبيّة التعبيريّة الوصفيّة، لقد طور البنويّون في بعض الجوانب، وتلاقوا في بعض جوانب النقص عند سابقيهم حيث عايشوا الحركة الأدبيّة، وهنا يكون التحليل الأسلوبيّ خاضعًا لتفسير العمل الفنّيّ باعتباره كائنًا عضويًّا شعوريًّا(عدنان رذيل، ص25).

تهتم الأسلوبية البنوية في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنّص وبالدلالات والإيحاءات، التي تنمو بشكل متناغم. تتضمن الأسلوبية البنوية بعدا لسانيا قاما على علمي المعنى والصرف وعلم التراكيب، ولكن دون الالتزام الصارم بالقواعد.

2-4- الأسلوبيّة الإحصائيّة

وهذا الاتّجاه يعنى بالكمّ، وإحصاء الظواهر اللغويّة في النصّ، ويبني أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء. ولكنّ هذا الاتّجاه إذا تفرّد فإنّه لا يفي الجانب الأدبيّ حقّه لأنّه لا يستطيع وصف الطابع الخاصّ، والتفرّد في العمل الأدبيّ، وإنّما يحسن هذا الاتّجاه إذا كان مكمّلاً للمناهج الأسلوبيّة الأخرى(عدنان رذيل، ص28). ومن أهم روادها نجد كل من" فول فوكس" و"زمب".

تقوم هذه الأسلوبية بعملية إحصاء لمجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا والتركيب الشكلي للنّص. وحينا يتم تحديد الأسلوب بأنّه تردد الوحدات اللغوية وإخضاعها للعمليات الرياضية. إن النسبة بين عدد ورود الكلمة في نص ما والمجموع الكلي يمكن إدراكها شكليا وتمثيلها عدديا، وهذا يُسهّل مقارنتها بالنصوص الأخرى.

مثلا إحصاء أنواع الكلمات كـ: الأسماء، الضمائر، الأفعال، الظروف، حروف الجرّ، الحروف الرابطة(حروف العطف وغيرها) والأدوات الرابطة(الصلات، أدوات الشرط).